عنوان المحاضرة:إدارة المخاطر التراثية.

د.بن زغادي

1-تعريف الإدارة.

2-تعريف إدارة المخاطر التراثية.

3-نشأة إدارة المخاطر التراثية.

4-خطوات عمل إدارة المخاطر التراثية في مجال تسيير الممتلكات الثقافية.

تمهيد:

تعتمد عدد من الدول على إدارات تابعة لمؤسسات أو مباشرة للوزارة لتسيير ممتلكاتها الثقافية،وذلك نظراً للأهمية البالغة التي تقدمها تلك الممتلكات على الصعيد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي،وأيضاً لجملة الاعتداءات التي تطالها،ومن جملة الإدارات الناشئة في هذا المجال إدارة المخاطر التراثية التي تعتبر أداة فعالة في مجال الحماية والتسيير معاً.

1-تعريف الإدارة:

أ-لغة:يرجع الاشتقاق اللغوي لكلمة إدارة من الكلمة اللاَّتينية administration المتكونة من جزئين،الأول ad ومعناه لكي،والثاني ministration وتعني خدمة،والكلمة ككل تعني القيام بخدمة الآخرين،أو بمعنى آخر لكي تقدَّم خدمة.

ب-اصطلاحاً:تقدِّم الإدارات بمختلف أنواعها دوراً جوهرياً في تنظيم المجتمعات المعاصرة،فحياة أفرادها تبدأ بشهادة تستخرج من الإدارة،وشهادة وفاة تحرَّر في الإدارة،وهي تعتبر محركاً لأي نوع من التنمية،ولتزايد أهميتها طرق أسماعنا اليوم مصطلح جديد يسمى بالتنمية الإدارية،ويعرفها فريديريك تايلر أنها المعرفة الصحيحة لما يُراد من الأفراد أن يؤدوه،ثم التأكد من أنهم يؤدونه بأحسن طريقة،أما باقي المفكرين فقد اشتركوا في تعريف الإدارة كونها عملية يقوم بها طاقم بشري للتسيير والتنظيم في مجال معين.

من خلال التعاريف المقدَّمة عن الإدارة يتضح أنها أسلوب تنظيمي يهدف إلى التسيير الأمثل ضماناً للمضي قُدُماً في جميع مجالات الحياة،ولها جملة من الصفات من بينها الرقابة والصرامة والجدية،التي لابد لها أن تتصف بها حتى تؤتي ثمرها.

2-تعريف إدارة المخاطر التراثية:

أمام تعقد الحياة الاجتماعية،وكبر حجم المشاريع التنموية وكثرتها لم يعد هناك نوع واحد من الإدارة،فقد ظهرت عدَّة إدارات من بينها الإدارة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعميرية وبالموازاة مع هذا التعقد تعرَّض الموروث المادي التابث وبقايا المواقع الأثرية لتهديد الزوال،الأمر الذي ألزم القائمين على هذا الجزء المهم من المسار الحضاري للإنسانية ككل على تخصيص إدارة تعنى بمراقبة حالة الشواهد الأثرية ودرء الخطر عنها تسمى بإدارة المخاطر التراثية،وهي تعتبر أحد الأدوات القانونية المستعملة في حماية التراث المادي التابث والمنقول على حدٍّ السواء،تهتم بدراسة التهديدات المحدقة به في مكان وجوده،ومن ثم إيجاد الأساليب الناجعة لمواجهتها،بعد القيام باستشارة أهل الاختصاص لاتخاذ القرارات الصائبة والمناسبة،وهي إضافة لذلك تشجع على التعاون مع مختلف التخصصات لمعالجة الضرر الذي يطال الممتلكات الثقافية.

هذه الإدارة عرَّفت الخطر أنه فرصة حدوث شيء من شأنه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على أهدافنا،فكلما فكرنا في الخطر،يجب علينا أن ننظر في فرصة حدوثه وفي تأثيره المتوقع على الممتلكات الثقافية،وإذا فكرنا في واحد من هذين الاحتمالين فقط سنصل إلى فهم خاطئ للخطر،فالجمع بينهما هو أمر مهم،ومن المهم أن نتذكر أن الخطر يشير إلى المستقبل،أي إلى شيء يمكن أن يحدث في المستقبل ما سيترك أثراً سلبياً على أهدافنا،نفس الأمر تعيشه الممتلكات الثقافية،فبحكم قدم مواد بنائها ووجودها في بيئة غريبة عن التي ولدت فيها إن صحَّ التعبير،يكون احتمال تعرضها لخطر الهدم وتغير خواص مواد بنائها الكيميائية والفزيائية أمرٌ مسلَّم به،ولذلك لابد من استحداث إدارة تعمل على فهم هذا الجانب جيداً،ومتابعة التغيرات التي تطرأ ليس على الممتلكات الثقافية،بل حتى على المحيط الذي توجد فيه.

تختلف أنواع المخاطر التي تهدد تراثنا الثقافي من أحداث مفاجئة وكارثية كبرى مثل الزلازل والفيضانات، والحرائق، والصراع المسلح إلى عمليات التدهور والتلف التدريجي والتراكمي التي تسببها العوامل البيولوجية الكيميائية والفيزيائية،ومديروا التراث والقائمون عليه في حاجة إلى فهم هذه المخاطر كي يكونوا قادرين على اتخاذ قرارات فعَّالة لتحسين حماية التراث الثقافي وتسهيل الوصول إليه لأجيال الحاضر والمستقبل،فعلى سبيل المثال إذا شبَّ حريق في منزل تاريخي سيتعرض المبنى عادة لخسارة تامة كاملة في قيمته وفي قيمة محتوياته،وعندما تتعرض قطع متحفية هشة من المقتنيات للتكسير جراء حدوث زلزال أو هزة أرضية تسجل خسارة للقيمة في تلك المجموعة،كما أن ألوان الأنسجة التقليدية تذبل بسبب تعرضها لأشعة الشمس وهو ما سيلحق بها خسارة في القيمة.

3-نشأة إدارة المخاطر التراثية:

أُعلن عن هذا النوع من الإدارات الخاصة بالمخاطر التراثية من طرف المركز الدولي لحفظ وترميم الممتلكات الثقافية (ICCROM)،والمعهد الوطني الكندي للمحافظة على التراث(CCI)،في إصدار مشترك بين المؤسستين لدليل يشرح منهجية تقدير الخطر المسمّاة بـ(ABC)،حيث تعني A معدَّل تكرار الخطر،وعدد السنوات اللاَّزمة لتراكم مستوى معيَّن من الضرر،أمَّا B فيعني كمية القيمة المفقودة التي تلحق بكل قطعة،وفيما يخص C فيشير إلى النسبة المئوية للتراث الذي تأثر بالخطر بالنسبة لكامل الأصل التراثي،هذه الدِّقة في العمل تمكِّن من تتبع وضعية الأثر لحظة بلحظة،وهو ما يبين أن له دوراً في مكافحة وردع جميع الاعتداءات التي يتسبب فيها العامل البشري أو الطبيعي على حدٍّ السواء.

4-خطوات عمل إدارة المخاطر التراثية في مجال تسيير الممتلكات الثقافية:

تسهر إدارة المخاطر على القيام بعملية مراقبة المخاطر ومتابعتها باستمرار لضمان تقليص التأثير السلبي وردع الأخطار التي تأتي من المحيط،ولتحقيق ذلك تعتمد على الخطوات الموضحة في الرسم التخطيطي الآتي:

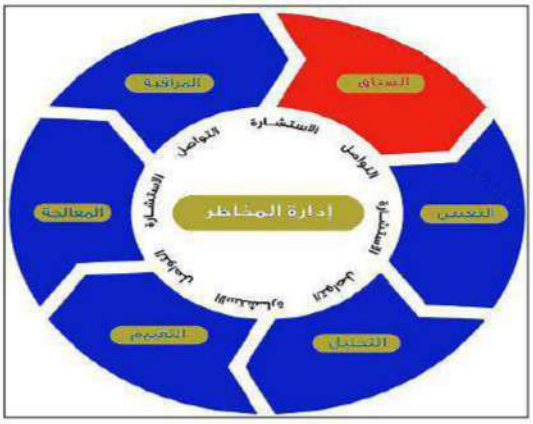

الرسم التخطيطي رقم 01:يبين خطوات عمل إدارة المخاطر التراثية المحدِّدة لقيم الخطر(ABC)

وفي مايلي شرح لكل خطوة:

-السياق:ويقصد به المحيط الذي يوجد فيه الأثر،والمستوى الثقافي والبيئي والسياسي الذي له علاقة به،من أجل توفير صورة عن الوضعية التي يعيشها من ناحية العناية والاهمال.

-التعيين:ويقصد به تحديد نوع الخطر والضرر الناجم عنه.

-التحليل:من الضروري جداً تحليل الخطر المحتمل وقوعه،للوقوف على حدَّته من أجل تحديد مقياس(ABC) السالف الذكر،ويتم على وجه الخصوص معرفة فرصة حدوثه ومعدَّل تكراره و تأثيره المتوقع،فعلى سبيل مثال وقوع زلزال كبير يؤدي لتدمير الأصول التراثية،يحتمل حدوثه كل ثلاثمائة سنة،أما سرقة القطع التراثية من المتوقع أن تحدث كل ثلاثين سنة،وتسرب المياه عبر السقف من المحتمل أن تحدث مرَّة كل ثلاث سنوات،ومن خلال عملية التحليل تترتب في أذهاننا استنتاجات عقلية وفقها نقوم بتحديد أسلوب التدخل.

-التقييم:بعد التعرف على درجة المخاطر،يتم في هذه الخطوة تحديد الأثر ذي الأولوية المعالجة،وذلك بعد تقييمه من الناحية التاريخية والفنية والعلمية.

-المعالجة:تعتبر من أهم المراحل في عمل هذه الإدارة،وهي تهتم بأعمال الترميم والصيانة،وتطبيق جميع أساليب الرَّدع والحماية،وهي تنطوي على خمسة عناصر أساسية تتمثل في مايلي:

•تجنب أسباب المخاطر،وكل ما يساعد في جعل الخطر أكبر.

•منع ظهور عناصر التدهور والتلف،عبر وضع حاجز وقائي بين الشاهد الأثري ومصدر الضرر.

•التحري عن عناصر التدهور والتلف،وتأثيرها الضَّار على الأصول التراثية،حتى يتمكن القائمون على ذلك الأثر من التحرك بسرعة في حالة أصبحت تلك العوامل تشكل تهديداً وشيكاً.

•وضع كافة الاستعدادات اللاَّزمة لمواجهة وقوع أي ضرر.

•إعداد دراسة توثيقية،وتخصيص ميزانية للطوارئ،والعمل على احداث تواصل دائم مع الخبراء في مجال الصيانة والترميم حول العالم بشكل دائم حتى يتم التمكن من المعالجة أي ضرر بصورة علمية دقيقة وفي وقت سريع.

-المراقبة:هذه الخطوة جزء من المبادئ التي تأسس عليها هذا البرنامج،وهو ضمان الحماية دائمة والمستمرة للموروث المادي في محيطه،إذ يبقى الطاقم الإداري لإدارة المخاطر على اتصال دائم من دون توقف عبر القيام بأعمال الصيانة الدورية،والقيام بزيارات للمعالم التاريخية والمواقع الأثرية تختتم بتقرير مفصَّل،كما تمكننا هذه الخطوة من التأكد أن تدخلات المعالجة أدَّت دورها على أكمل وجه من دون إحداث أي تأثيرات سلبية على المعلم التاريخي،وهذا ما يبرز أن عمل إدارة المخاطر مستمر ومتواصل،ومن المهم توثيق جميع المعطيات خلال القيام بهذه الخطوة وحتى الخطوات السابقة.

إن تخصيص إدارة خاصة بحماية الممتلكات الثقافية سيساعد لا محالة في تثمينها والوصول بها إلى برِّ الأمان،كي تبقى شاخصة كرسائل صادقة تخلو من أي ذاتية للأجيال اللاَّحقة.